المدخل الإسلامي في الخدمة الاجتماعية (أبعاده المعرفية وأسسه المنهجية)

▪ د. عبد العزيز جاهمي
قسم علم الاجتماع
جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

الملخَّــص:

تمثل المقاربات المنهجية الخلفية الفلسفية والمذهبية للبحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويحاول هذا المقال توضيح المقاربة الدينية وبعدها الروحي في الخدمة الاجتماعية ، وتبيان الأبعاد النظـرية و المفهمية وأسسها المنهجية ، التي تحتل مكانة متميزة في منظومة التفكير الإسلامي المعاصرة . وذلك من أجل تدعيم الاتجاه نحو تاصيل المهنة بالمبادئ والقيم الثقافية للمجتمع الإسلامي ، والتي كتب لها في نظرنا الاعتراف الأكاديمي والمجتمعي .

الكلمات المفتاحية : الخدمة الاجتماعية ،المدخل الاسلامي.

Résumé:

Les approches méthodologique représentent les arrière-fonds philosophiques et doctrinaux de la recherche scientifique en sciences humaines et sociales;ET le présent article essaye de clarifier l'approche religieuse et sa dimension spirituelle en travail social. et démontrer ces aspects théoriques et conceptuelles, et ces fondements méthodologiques qui occupe une place très importante dans la réflexion et la pensée islamique moderne. et ce afin de renforcer la tendance de l'importance de l'originalité, et la nécessité de référer au principes et normes culturelles de la société musulmane,qui a notre avis obtenue la légitimité académique et sociétale.

Mots clés : travail social ,l' approche islamique

مقدمـــــة :

ينطلق هذا المقال من حقيقة ما تواجهه المهن الإنسانية والاجتماعية المعاصرة من معضلات مع المفاهيم النظرية التي تسندها، وآداب ممارستها في الواقع؛ نتيجة لتبنيها لمختلف المدارس الفكرية، وتبدلها وتطورها تبعا لمقتضيات الحياة المتغيرة (الوجودية، البنائية، الوظيفية، الماركسية، الغائية،

النفعية، المساواتية، الـــــرمـــــزية، الاجتماعية...). ويأتي على رأس هذه المهن الخدمة الاجتماعية (*)، باعتبارها إحدى نواحي الاهتمام في نسق الرعاية الاجتماعية الحديث للمجتمعات، بما تحمله من معاني ومضامين إنسانية وأخلاقية؛ حيث يجد الباحثون والمهتمون والمختصون أنفسهم في كثير من الحالات عاجزون عن مجاراة الصعوبات، ومواجهة المواقف التي تفرضها طبيعة المهنة فـــــــي مواجهة المشكلات المتغيرة للمجتمعات. ولم يجدوا ضالتهم إلا في الأديان خاصة السماوية منها، بما تتضمنه من قيم و مبادئ سامية يمثل فيها الإنسان الموضوع و الغاية.

ويحتل الدين الإسلامي باعتباره خاتما للأديان، وعدم تعرض أحكامه ومفاهيمه للتحـــريف والـــتـــــزييف كما حصل في الأديان الأخرى؛ وما يتمتع به من توجهات فكرية ورصيد قيمي قادر على الارتقاء بالمهنة، وتأطير عمل المختصين (الأخصائيين الاجتماعيين) بأخلاقيات ومباديء تمكنهم من إيصال الخدمات للعملاء، وكفالة احتياجاتهم وحل مشكلاتهم سواء المادية منها أو المعنوية أو الروحية بفعالية .

وسنحاول في هذا المجال تسليط الضوء على المنطلقات النظرية والأسس العملية التي يقوم
عليها هذا المدخل (المدخل الإسلامي)(*) الذي بدا يشق طريقه بثبات في برامج ومناهج الخدمة
الاجتماعية للمجتمعات المختلفة، في الوقت الذي مازال واقع المجتمعات الإسلامية يقدم تصورا ضيقا ومحدودا له. وذلك من خلال التعرض إلى أصوله النظرية والمحاولات الفكرية التي ساهمت في تبلوره، والأسس و العناصر التي يقوم عليها، والتي تتحقق بمقتضاها فعاليته.

أولا: الأصول النظرية للمدخل الديني في الرعاية الاجتماعية:

إن للمدخل الديني في الرعاية الاجتماعية عموما، أصولا نظرية ورواسب فكرية تمتد بجذورها إلى الماضي السحيق من تاريخ البشرية؛ أي إلى الفترة التي لم تتأسس فيها العلاقات الاجتماعية بعد؛ حيث كانت أشكال التعاون البسيط في المجتمعات البدائية تساهم فيه إلى حد كبير نزعة تقديس القوى الخفية. وهي القوى التي كانت تبعث في نفسية الإنسان الأول الطمأنينة، وتدعوه إلى فعل الخير والتضامن مع بني جنسه في مواجهة الأخطار المحدقة به آنذاك؛ والمتمثلة خاصة في قوى الطبيعة المختلفة والحيوانات المتوحشة، وجشع وأنانية أخيه الإنسان. وفي هذا المجال يرى بعض العلماء الاجتماعيين بان النظام الطوطمي الذي كان سائدا آنذاك، كان وسيلة قد اتخذتها العشائر القديمة لتمرين أفرادها وترويضهم على تقديس ما كان لديها من نظم و أوامر ونواه، ولتقوية أواصر ارتباطهم بها، بما تفرضه من عادات وما تضعه من قواعد تتعارض في كثير من مظاهرها مع أهواء ورغبات الأفراد.[1]

وهو ما أكدته بعض الدراسات النفس– اجتماعية لاحقا؛ حيث أثبتت أن شعور الفرد بالحاجة إلى قوى خارقة يمكنه الاحتماء بها في دفع الإضرار وجلب المصالح، واقع وجداني لا يمكن نكرانه. ويذهب كل من (ف. ميري F . MIRRY، ور. ميري R.MIRRY) إلى أن ظاهرة التدين ظاهرة غريزية، وأن المفاهيم ذات المعنى والدلالة المرتبطة بها تتكون إذا ما أعطيت الفرصة لذلك.[2]

ولعبت النزعة الدينية على تنوع مصادرها دورا بارزا في بلورة تصورات وأفكار الكثير من العلماء آنذاك. ويكفي للتدليل على ذلك الأفكار والتجارب الرائدة التي أثبتت نجاعتها مثل: تجارب ابن سينا الرائدة في علاج المرضى

من خلال توظيف الطاقة الإيمانية في تدعيم وتقوية إرادة الحياة لدى المـــــريض، والتفاعل مع طرق العلاج؛ وتجربة(دوركايم) الشهيرة حول الانتحار التي اثبت فيها دور الوازع الديني في ضبط السلوكيات وتجنيب الأفراد الوقوع في مهاوي الجريمة والانحراف، ونظـــــرية(فرويد) المشهورة (التحليل النفسي) التي استلهم حقائقها من تفسير الأحلام التي جاءت في الكتب السماوية، ومفاهيم (ايبوقراط) عن الشخصية والنمط التائه منها. والتعاليم الإسلامية حول طبائع النفوس(المطمئنة، اللوامة، الأمارة بالسوء...)، وأنماط الناس (الكاظمين للغيظ و العافين عن الناس...)، والمحاولات المبكرة للكنيسة في العلاج من خلال الاعتراف بالخطيئة. بالإضافة إلى علاج أصحاب الطرق والتأمل ألتجاوزي والطرق اليوجية، والعلاج بطريقة زن التأملية (البوذية)، والعلاج بالإيمان لدى أصحاب الديانات السماوية وما تقوم عليه من شعائر وطقوس إيمانية ...الخ[3]. والتي تزامنت مع انتشار الدعوات إلى الالتزام بالأخلاق الحسنة ، والقيام بأعمال الخير والبر، ونشر المحبة والأخوة بين الناس، وإقامة المجتمعات على أسس من التضامن والتعاون والمساواة. وهي التي صبغت اتجاهات ومبادرات وأنشطة الرعاية الاجتماعية من صدقات ومعونات وخدمات بصبغة أخلاقية و دينية [4].

وساهم رجال الدين والمؤسسات الدينية(المساجد، كنائس، أديرة...) مساهمة فعالة في حماية الطبقات الضعيفة، وضبط الانحرافات السلوكية؛ باعتبارها القوى الاجتماعية الأساسية السائدة وقتها. ففي المجتمع الإسلامي الأول أنشئت منذ القرن الأول الهجري إدارات خاصة بالإحسان تمول عن طريق الزكاة، و تنفرد بميزانية مستقلة تنفق في مصارفها الشرعية، وتوزع الرواتب على فئات معينة حددتها الآيات القرآنية الكريمة.وكان في عهد

الخليفة الثاني للمسلمين(عمر بن الخطاب)تقيد قوائم تضم أسماء المستحقين من الناس للمساعدة. وتخبرنا المصادر والوثائق التاريخية عن الزيارات التي كان يقوم بها ليطمئـــن فيها على ظروف الفقراء وأحوالهم المعيشية؛ حيث كان ينتقل إليهم ليلا في مضاربهم وبيوتهم، ويحمل إليهم القوت والطعام.

وكذلك سار الخلفاء والولاة على هذا النهج بعده؛ فكانوا يهتمون بالرعية، ويقررون لها المساعدات في ضوء احتياجاتها وظروفها الشخصية، فخصص للكفيف والمريض من يقوم على رعايتهم، وكانت تخصص نفقة للشيخ الكبير والأرملة و الطفل من بيت مال المسلمين في غياب من يعيلهم.[5] إلا أن الخدمة الاجتماعية الحديثة باعتبارها مهنة علمية وعملية اعتنقت مفاهيم ومبادئ لم تكترث فيها للبعد الديني بالكيفية المناسبة . وذلك بدعوى الحياد القيمي و الموضوعية المزعومة اللتان ورثتهما عن الاتجاهات الامبريقية خاصة المتطرفة منها التي تشكلت نتيجة للمفاسد والانحرافات التي عرفتها الكنيسة خاصة في القرون الوسطى . وهو ما حذى ببعض علماء الخدمة الاجتماعية الغربيين أنفسهم إلى الدعوة إلى ضرورة إيلاء أهمية للقيم الدينية والروحية حتى تقوم المهنة بدورها في مساعدة الناس[6].

كما أبدى المتخصصون في الخدمة الاجتماعية في الدول الإسلامية اهتماما متزايدا بالمراجعة النقدية للافتراضات التي بنيت عليها والمبادئ التي تستند إليها؛ حتى تستجيب لعقائد وقيم الدين الإسلامي . وبالتالي ظهرهذا الاتجاه(المدخل الديني في الخدمة الاجتماعية) يستلهم أطره النظـــرية وممارساته التطبيقية من منظور الأديان، وتصوراتها للحياة والإنسان.

ومع أن هذا المدخل يستمد أسسه من المعتقدات الدينية وتطبيقاتها، إلا أنه لا يتبع في الغالب طقوس ومراسيم محددة كما كان الحال عليه في الماضي، إلا ما تعلق منها ببعض الجوانب كتلك الخاصة بعمليات تطميـــن ومواساة

وتشجيع العملاء (الأفراد والجماعات التي توجه لهم الخدمة)، والتي من شانها مساعدتهم على استعادة قواهم الروحية، وشحن إرادتهم من خلالها.[7]وما يجب التأكيد عليه في هذا المجال، هو أن بروز المدخل الديني كأساس نظري وعملي تستند إليه الخدمة الاجتماعية، لم يكن بغرض استبعاد بقية المداخل، وإنما إعادة صياغة مسلمات وافتراضات وممارسات وطرق وأساليب جديدة، كشفت عنها الممارسات والتجارب في هذا المجال .

ثانيا:المساهمات المعرفية المعاصرة و تبلور المدخل الديني الروحي في الخدمة الاجتماعية :

لقد تعرضت المبادئ في أوروبا وأمريكا خاصة(مهدا الخدمة الاجتماعية تاريخيا) لعدة تغيرات جنحت بها من الفلسفة الوجودية إلى الوضعية إلى البنائية إلى الوظيفية الماركسية إلى البراغماتية[8]، إلى الغائية إلى المساواتية. وأثرت بشكل مباشر على منظومات الرعاية الاجتماعية وخدماتها فيها؛ مما حذى ببعض العلماء إلي الدعوة لمراجعة تلك المدارس وما يرتبط بها من مفاهيم وممارسات، خاصة تلك التي تستبعد القيم الدينية في أدبياتها وعملياتها. فشهدت العقود الأخيرة من القرن الماضي ظهور عديد البحوث والدراسات والمقالات ذات الصلة، نشـــرت في الدوريات العلمية آنذاك. كما عقدت لذلك الكثير من المؤتمرات، وكانت علامات بارزة في هذا الاتجاه؛ حيث أدركت أهمية الأخذ بالعوامل الدينية والروحية في ممارسة وتعليم الخدمة الاجتماعية، حتى يتحقق للمهنة غاياتها وأهدافها بكفاءة و فعالية. ويمكن إدراج أهم المساهمات في مايلي:

1- خصصت دائرة معارف المهنة الصادرة عن جمعية الأخصائيين الاجتماعيين الأمريكية، والتي تعتبر من أهم المراجع العلمية في الخدمة الاجتماعية في العالم، في طبعتها التاسعة عشر(19)الصادرة عام 1995

ضمن ملحقها الأخير ولأول مرة مقالا من مقالاته الرئيسية موضوعه(العوامل الروحية في الخدمة الاجتماعية)، مما يرقى إلى مستوى الاعتراف الرسمي بان هذا التوجه الجديد قد حصل على الاعتراف العلمي والمهني ليكون ضمن التوجهات النظـــرية المستقبلية للمهنة .

2- ظهر عام 1996 أول كتاب جامعي مرجعي حول ممارسة الخدمة الاجتماعية الأمريكية ينطلق من وضع العوامل الروحية موضعها من الممارسة المهنية. كما ظهر كتاب مماثل في مسائل العلوم التأسيسية للخدمة الاجتماعية سنة 1998، يتناول قضايا السلوك الإنساني للفرد في البيئة الاجتماعية في ضوء العوامل الروحية في الخدمة الاجتماعية ألا وهو كتاب (سوزان روبينز S .ROBINZ) وزملاؤها. ويكشف كتاب(ادوارد كاندا E .CANDA)الصادر سنة 1998 المعنون ب(العوامل الروحية) في الخدمة الاجتماعية، عن اتجاها جديدا ومرجعا أساسيا في هذا المجال، حيث تناول في مقالاته قضية ممارسة وتعليم الخدمة الاجتماعية مـــن وجهة النظر الدينية والروحية.

3-صدور دليل عن المجلس الأمريكي لتعليم الخدمة الاجتماعية سنة 1995 ولأول مرة منذ العقود الأولى لإنشائه، يتضمن نصا يشير إلى النواحي الروحية والدينية والأنساق الاعتقادية على اختلافها وتنوعها كمكونات هامة ضمن محتوى المناهج والبرامج الدراسية لكليات الخدمة الاجتماعية .[9]

4- قيام جمعية النواحي الروحية في الخدمة الاجتماعية الأمـــريكية بتنظيم ثلاث مؤتمرات على المستوى القومي الأمريكي في الأعوام(1995، 1996، 1997) على التوالي عكست موضوعاتها وضع العلاقة بين النواحي الدينية والروحية، والخدمة الاجتماعية، حيث تناول المؤتمر الأول موضوع عودة الروح إلى الخدمة الاجتماعية. وخصص المؤتمر الثاني للتعبير عن روح

الخدمة الاجتماعية. بينما ركز المؤتمر الثالث على تثبيت الروح في الخدمة الاجتماعية.[10]

5- المناقشات التي أثارتها نتائج البحوث التقويمية لمدى فاعلية الخدمات التي كان يقدمها الأخصائيون الاجتماعيون لعملائهم منذ أواخر الستينيات وحتى تسعينيات القرن الماضي؛ والتي شكلت صدمة للمهتمين والممارسين. وألقت المهنة(الخدمة الاجتماعية) في دوامة من الأبحاث والمراجعات والتنقيب عن أسباب الفشل والقصور في أداء مهامها ووظائفها. وقد عبر عن هذا الموقف (فيشر FISHER) بالإشارة إلى أن تلك السلسلة من النتائج السلبية المستمرة للممارسة أدت إلى أزمة، أدت بدورها إلى البحث عن نماذج جديدة للممارسة تتجاوز القصور فيها. وتزامن ذلك خاصة مع الجهود الموازية للمراجعات التي أجريت في نطاق فلسفة العلوم الاجتماعية عموما، والتي طالبت بتبني توجه علمي جديد (NEW PARADIGM) يتجاوز التصورات الوضعية الامبريقية التقليدية؛ ويقوم على أساس نظرة شمولية لا تختزل الإنسان في جوانبه المادية و البدنية وحدها (علمنة المهنة)، فتحدث(جوزيف هيس JOSEPH HESS) عما اسماه (أزمة الهوية) التي تعاني منها الخدمة الاجتماعية الأمريكية خاصة، نتيجة إهمالها للبعد الروحي في الممارسة. واختزلت الإنسان إلى مجرد تفاعل بين قوى غريزية، وإلى حاجة أساسية (حاكمة) للحصول على القوة. واستشهد في ذلك ب (فكتور فرانكل) الذي يذهب إلى أن العوامل الروحية تتصل بقدرة الإنسان على إيجاد معنى أعمق لوجوده في الحياة، ونقل عنه قوله: "إن البعد الروحي لا يمكن تجاهله لأنه هو ما يجعل الإنسان إنسان ".[11]كما بين (مارتين مارتي MARTIN MARTY) في مقالته الشهيرة بعنوان: الخدمة الاجتماعية هل هي مؤمنة أم كافرة، بأن إهمال الدين في كتابات وممارسات الخدمة

الاجتماعية يؤدي إلى وجود فجوة في التصور بين الأخصائيين الاجتماعيين، وبيـــن الناس الذين تقدم لهم الخدمات الاجتماعية؛ لأن الناس قد تكون لديهم دوافع تحركها الرغبة في إيجاد معنى لحياتهم. لكن تلك الدوافع والرغبات لا تجد أذانا صاغية عند الممارسين الذين يستبعدون في لغتهم المتخصصة أي اهتمام بهذه النواحي. وأشار (مارتي) إلى أن فصل الدين عن الدنيا فيما يعـــرف ب(التوجه العلماني SECULARIZATION) يؤدي إلى أن المؤسسات و الممارسات في هذا المجال، ينبغي أن تبنى على أسس تتصل بهذه الحياة الدنيا(THIS WORLD)مستبعدة بذلك أي صلة بالله أو باليوم الآخر؛ الذي قطعت الخدمة الاجتماعية فيه شوط كبيرا. ويعتبر مسؤولا عن قصور الممارسة فيها. ودعا في النهاية إلى التخلص من أثاره المريرة. أما (سو سبنسر SUE SPENCER) فقد تساء لت قبل ذلك بسنوات طويلة وبتعجب، على هيمنة التوجهات العلمانية في إعداد الأخصائيـــــن وممارساتهم بقولها:" إذا كانت الحاجات والممارسات الروحية هي جزء لا يتجزأ من حياة تلك الأعداد الكبيرة من الناس. وإذا كان استخدام العقيدة الدينية له تلك القيمة الحقيقة أو المحتملة لهذه الأعداد الغفيرة من الناس، فان المرء ليتسائل عن أسباب تردد الأخصائيين الاجتماعيين في الاعتراف بتلك الحاجات و مقابلتها ".

وتتفق(فنسنتيا جوزيف F.JOSEPH) مع من يرون أن العوامل الروحية التي تؤثر تأثيرا كبيرا على الأفراد في مختلف مراحل حياتهم لم تناقش إلا قليلا في كتابات الخدمة الاجتماعية في أمريكا. وأنه لم يقدم إطارا نظريا لمساعدة الأخصائي على فهم وتقويم ديناميات الحياة الدينية للعملاء، أو لمساعدته على التدخل بمهارة في هذا المجال.[12]

كما أكد كل من: (ماكس سيبورين، وابيريـــــن براور)على انه لما كانت الجوانب الروحية تمثل بعدا أساسيا من إبعاد الخبرة الإنسانية فلا بد من إعطائها ما تستحق من اهتمام في بحوث الخدمة الاجتماعية، أو في بناء نظرياتها و ممارساتها المهنية. ودعى(كندا CANDA) إلى توسيع نطاق مفهوم الشخص في البيئة ليشمل العالم غير الإنساني، وإيجاد معايير لتقدير درجة الارتقاء الروحي والأخلاقي للعميل(MORAL AND SPIRITUAL DEVELOPMENT). وأن هذه المعايير ينبغي ألا تختزل الحياة الروحية للعميل إلى مجرد سلوكيات ظاهرة قابلة للملاحظة من الخارج .

أما(دادلي وهلفجوتDUDLEY AND HELFGOTT) فقد ناقشا مفهوم النواحي الروحية والفرق بينها وبين مفهوم النواحي الدينية. وينقلان عن(هايفيلد وكاسون) تعـــريفهما للنواحي الروحية على أنها: " ذلك البعد المتضمن لحاجة الإنسان للتوصل إلى إجابات مرضية لمعنى الحياة والمرض والموت، والسعي للوصول إلى علاقات أعمق مع الله والناس والذات". وقد اتجه المؤلفان بعد ذلك للقول بان الجوانب الروحية اشمل وان الجدل الدائر حول النواحي الروحية، إنما يرجع في جانب منه إلى صلة النواحي الروحية بالدين، وذلك لأن الفصل القانوني بين الدين والدولة في الولايات المتحدة الأمريكية كان يمنع تدريس الدين في أي مؤسسة حكومية، ويحول دون إدخال الدين كجزء من برامج المؤسسات الاجتماعية التي تتلقى دعما حكوميا. وهناك إدراكا واضحا للعلاقة الوثيقة بين الدين والنواحي الروحية حيث يقول(كندا) في ذلك:" إن الدين يتضمن تنميط للمعتقدات والممارسات الروحية في إطار المؤسسات الاجتماعية والدعم المجتمعي، وفي إطار التقاليد ذات الاستمرارية عبر الزمن". وقد حاول(كندا)أن يتبع الطرق التي يستخدم بها المشتغلون بتعليم الخدمة الاجتماعية في أمريكا اصطلاحات

النواحي الروحية والدينية؛ فأشار إلى أن الأخصائيين الاجتماعيين قد كانوا في الماضي أكثر استخداما لمصطلح الدين مقارنة بمصطلح العوامل الروحية لأنهم كانوا ينطلقون عادة من تقاليد دينية محددة كالمسيحيةأو اليهودية.[13]ولكنهم منذ ستينات القرن الماضي قد بدأوا يوسعون نطاق اهتمامهم المهني ليمكنهم من الاستجابة للتنوع الكبير في المعتقدات الدينية الأخرى كاليهودية والإسلام والبوذية. ولعل أول محاولة في هذا المجال ما قدمته (شارلوت تاول H.TOWLE) في مؤلفها الشهير عن(الحاجات الإنسانية المشتـــــركة) لتوجيه الأخصائيين الاجتماعيين العاملين في المؤسسات الحكومية التي لا تملك التوحد مع أي ديانة بعينها، والتي أصرت فيه على أن:" الحاجات الروحية يجب أخدها في الاعتبار وفهمها واحترامها كأحد الحاجات الإنسانية الأساسية ".

كما أشار(براورBROWER) إلى ما اسماه:(البعد الروحي SPIRITUAL DIMENSION) باعتباره الروح الإنسانية غير المادية. وأوضح أن هذا البعد يتضمن كل الجوانب الشخصية الإنسانية؛ إضافة إلى الوعي بوجود(مصادر للروح/الطاقة للخلق) ووجود علاقة ومع هذا المصد. أما(ماكس سيبورين M.SIPORIN) فقد أوضح أن ما هو روحي إنما يشير إلى جانب ما هو أخلاقي في الفرد ما يسمى بالروح التي تهفو نحو (القيم المتعالية الرفيعة transcendental)، ونحو إعطاء معنى للحياة، ومعرفة الحقيقة المطلقة(ULTIMATE REALITY)، ونحو الارتباط بالغيرية والقيم الغيبية، أو فوق الطبيعة SUPER NATURAL)؛ مشيرا إلى انه من الممكن للعوامل الروحية أن تعبر عن نفسها داخل أو خارج المؤسسات الدينية. وأن مفهوم العوامل الروحية لا ينبغي قصره على الاعتقاد بوجود الله أو بوجود الروح، مفسحا بذلك الطريق أمام شمول نظرية العوامل الروحية لكل أشكال

وصور التعبيرات الروحية المتضمنة في الديانات غير السماوية والوثنية أو التوجهات الإلحادية .

كما قدمت (فنسنتيا جوزيف) تعريفا للعوامل الروحية باعتبارها:" البعد الكامن وراء الوعي الباحث عن المعنى، والباحث عن الوحدة مع هذا الكون ومع كل الأشياء؛ والذي يمتد ليشمل استشعار المتعالي ذي القوة الأعلى منا.[14]وفي ضوء ذلك فقد توصل (كاندا) إلى ما يعتبر تصورا شاملا لمفهوم العوامل الروحية في الخدمة الاجتماعية حيث يقول:" إنني أتصور العوامل الروحية على أنها ذلك(الجشطلت)من العمليات الكلية للحياة الإنسانية والنمو الإنساني الذي يشمل النواحي البيولوجية والعقلية والاجتماعية والروحية؛ والتي لا يمكن اختزالها بالوقوف عند أي واحد من هذه المكونات منفردا؛ بل الأصح قولا انه مفهوم يشير إلى كلية ما هو إنساني. وهذا التعريف يشير إلى أوسع معاني الاصطلاح...كما ينبغي أن نذكر هنا أن (كاندا) وغيره من المؤلفين والمنظرين في الولايات المتحدة الأمريكية عندما يتكلمون عن الحياة الروحية، فإنهم يوسعون نطاقها لتشمل كل جوانب الخبرة الدينية وغير الدينية دون إصدار أي حكم عام أو قطعي في هذا النطاق؛ وذلك بحكم الظروف الخاصة بمجتمعاتهم. وقد قدم (كاندا) باعتباره الأب الروحي لهذا المدخل في أمـــريكا تعريفا مهما للممارسة الواعية بالعوامل الروحية، وذلك في مقال تاريخي له نشر في دائرة معارف الخدمة الاجتماعية سنة 1997، ويتضمن هذا التعريف عددا من الجوانب الأساسية التي يتطلب الأمر الوقوف عندها ومنها:

1- أن هذا المنظور للممارسة لا يعني الأخذ في الاعتبار النواحي الروحية والدينية للعملاء وحسب، بل يتعداه إلى النمو الروحي للأخصائي الاجتماعي ذاته.

2- وعي الأخصائي الاجتماعي بالدور الايجابي والفعال للجوانب الروحية في التأثير على سلوك العملاء؛ بغض النظر عن أديانهم و مذاهبهم ، التي يجب أن تحترم دون محاولة تحويلهم عنها إجبارا أو إغراء .

3- ربط الجوانب الروحية بالجوانب الأخلاقية و المعنوية.(15)

4- الاستعانة بمختلف الموارد الموجودة في البيئة (مادية أو بشـــــرية)، وخاصة في حالة اختلاف ديانة العميل عن ديانة الأخصائي الاجتماعي.

وتذهب(ماريا كارول M.KARROL) إلى أن الكثيرين يستخدمون مفهومي العوامل الروحية والعوامل الدينية بالترادف. وترى أنه يمكن التمييز بينهما على أساس أن العوامل الروحية تشير إلى عملية سعي الإنسان للوصول إلى إدراك معنى الحياة والهدف منها، في حين أن الدين يشير إلى مجموعة من المعتقدات المؤسسية المنظمة، وإلى الوظائف الاجتماعية باعتبارها وسيلة للتعبير عن النواحي والخبرات الروحية. (16)

ويـــــرتكز المدخل الديني في نظر (عمر الشيباني) إلى إصلاح شأن العقيدة الدينية، وتنمية الوازع الديني والخلقي في النفوس، وبناء روح الجد والمسؤولية، وإرادة التغيير وضبط النفس، ومقاومة الشرور وطغيان المادة في نفسية الفرد، وضمان حقوق الأفراد في الكرامة والحرية والأمن والطمأنينة، والعدالة والمساواة والمعرفة، ونشر الوعي التربوي الثقافي والاجتماعي، وحماية المجتمع من الانحرافات بمختلف أشكالها وألوانها؛ وإعداد البيئة الصالحة لتكوين المجتمع الفاضل.(17) وهي المرامي الكبرى للخدمة الاجتماعية ومبادئها.

ثالثا : أسس و مضامين المدخل الإسلامي في الخدمة الاجتماعية :

لقد تزامن ظهور هذا المدخل مع الاتجاهات الجديدة التي برزت في العلوم الاجتماعية والإنسانية عموما ؛ والتي تدعو إلى دراسة الظواهر والنظم

والأنساق والعلاقات الاجتماعية من منظور إسلامي. والتي كان من نتائجها ميلاد تخصصات جديدة (علم الاجتماع الإسلامي، علم النفس الإسلامي، والتشريع الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي...) حيث أن تلك التخصصات تعتبر القاعدة العلمية للخدمة الاجتماعية باعتبارها تخصص هجين يستمد أسسه المعرفية ومبادئه منها. لقد اتجهت الخدمة الاجتماعية إلى تبني المدخل الإسلامي، وتحمست لتطبيقه في المؤسسات الاجتماعية لعلها تجد فيه أسلوب العمل الأمثل، وطريقة العلاج المناسبة لزبائنها وعملائها بعد أن تفرقت بها السبل، وعجزت أساليبها التقليدية والمحدثة المستمدة من الاتجاهات الفكرية العلمانية، وتجارب وخبرات المجتمعات الغـــربية عن تلبية احتياجاتهم وإيجاد الحلول لمشكلاتهم. لقد أبدى المتخصصون في الخدمة الاجتماعية في الدول الإسلامية في العقود الأخيرة اهتماما متزايدا بقضية المراجعة النقدية المتعمقة للافتراضات التي بنيت عليها المهنة(الخدمة الاجتماعية)، والمبادئ التي تستند إليها بغرض إحداث التغيرات اللازمة في ممارساتها وتطبيقاتها؛ حتى تصبح أكثر استجابة لحاجة المجتمعات الإسلامية التي تمارس فيها. وأكثر فعالية في النهوض بالأعباء والمسؤوليات الموكلة لها والمتمثلة في تلبية احتياجات الناس وحل مشكلاتهم، وإحداث التغيرات المناسبة في البنى الاجتماعية المختلفة، وتحقيق أدوارها الوقائية و العلاجية والإنمائية بكفاءة.[18] وذلك فيما أصبح يطلق عليه ب : التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المنظور الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المقاربة الإسلامية للخدمة الاجتماعية، التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، أسلمة الخدمة الاجتماعية، توطين الخدمة الاجتماعية، المدخل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ...الخ.

وهي المفاهيم التي كثر استخدامها في الأدبيات المـــرتبطة بالمهنة في المجتمعات الإسلامية المختلفة وبعض الدول النامية؛ لتشير إلى عملية تكييف

وتطويع وأقلمة المهنة لتواكب ظروف وثقافات ومتطلبات المجتمعات التي تعمل فيها، بدلا من مجرد التقليد الأعمى أو استنساخ تجارب وخبرات وممارسات ومناهج صممت لتلائم مجتمعات أخرى غيرها. وفي هذا السياق يقول أستاذ الخدمة الاجتماعية الهندي(ك.جاكوب K.JACCOB):"إن الشكل الذي نعرفه عن الخدمة الاجتماعية قد نشأ في المجتمعات الغربية استجابة لحاجات ومشكلات تلك المجتمعات والظروف الخاصة بها...؛ ولذلك فإن واجبنا هو التوصل إلى خلفية نظرية ملائمة، وإطار مهني يصلح للممارسة في مجتمعاتنا". ويطلب مواطنه(بانياجي BANIAGI) بضرورة توطين الخدمة الاجتماعية في الهند على هذا الأساس حيث يقول:" إن الهند قد استخدمت الخدمة الاجتماعية بقاعدتها العلمية وطرقها ومبادئها كما وردت عن مثيلتها في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وقد حان الوقت لتحديد الاختلافات بين المجتمعين، وما تتطلبه أقلمة العمليات الأساسية للخدمة الاجتماعية بما يتماشى والهند". وفي نفس الإتجاه يذهب(هربرت آبترH.APTER)إلى أن الخدمة الاجتماعية باعتبارها نظام اجتماعي فائق المرونة يشترك في مبادئها الكثير من المجتمعات؛ ومع ذلك يجب إدراك اختلاف الأنظمة الثقافية والاجتماعية لهذه المجتمعات عند ممارستها (المهنة).[19]

إن دراسة فاحصة لواقع العالم الإسلامي عموما تكشف عن حقيقة لا يمكن التغاضي عنها، وهي تأثره الواضح بالفلسفات الغربية في جميع المجالات. مما جعل مجتمعاته يظهر فيها ما ظهر في المجتمعات التي نهلت منها ثقافتها من انحرافات قيمية، واهتزاز في المثل، وظهور العديد من الأمراض الاجتماعية والانحرافات السلوكية، وطغيان التفسير المادي للحياة. بحيث لم

تفلح معه الإجراءات الوقائية والعلاجية الترقيعية المستمدة من تلك الفلسفات لأنها صيغت لمجتمعات غيرها.[20]

لذلك ظهرت المحاولات الأولى لتأصيل الخدمة الاجتماعية المنطلقة من المنظور الإسلامي وعلى رأس هذه المحاولات المبادرة الرائدة للدكتورة (عفاف الدباغ) التي قامت بمحاولة لاستجلاء طبيعة الإنسان الذي تتعامل معه الخدمة الاجتماعية، وفهم السنن النفسية والاجتماعية التي تحكم سلوكه والوصول إلى تصور إسلامي حول أسباب المشكلات الفردية والاجتماعية؛[21] وما تلاها من مساهمات شكلت تحولا نوعيا في مسار الخدمة الاجتماعية. ويمكن في هذا المجال ذكر على سبيل المثال لا الحصر مساهمة كل من إبراهيم عبد الرحمن رجب في مؤلفه (الإسلام والخدمة الاجتماعية)، والدكتور محمد سلامة محمد غبارى في مؤلفه(مدخل إلى الخدمة الاجتماعية الإسلامية ــ خدمة الفرد).

لقد أتى الدين الإسلامي خاتما للأديان السماوية الأخرى وجامعا لها. فجاء بمنظومة عملية شاملة لمختلف أوجه النشاط الإنساني، فاحتلت الرعاية الاجتماعية مكانة مرموقة في التنظيم الاجتماعي للمجتمع الإسلامي حتى تكفل لأفراده التعاون والإحسان، ويتحقق للأمة السعادة والرفاهية، وتضمن لها التقدم والرقي، وتؤمن لها المنعة والعزة، ويندرج ذلك كله ضمن ما يعد من مناط التكليف.[22] فالدين الإسلامي هو دين الحياة بكل ما يقتضي ذلك من دلالات، ودين المجتمع الذي يعرف كيف يحفظ كيانه، ويدعم وجوده ويصونه، ويحمي منتجه الحضاري؛ ويوجهه الوجهة التي تحقق عمارة الأرض، والسعادة والمصلحة للجميع، ودين الإنسان الذي يستخدم عقله و فكره وخياله، ويستعمل ما كسبت يداه لترقية ذاته وتطوير حياته، وتكييف بيئته التي يعيش فيها.[23]

لقد استهدفت رسالة الإسلام هدف رئيسي هو خلق المجتمع الإنساني المثالي، من حيث سلوك أفراده وعلاقاتهم ومعاملاتهم. كما جاءت لتعيد للشخصية الإنسانية وحدتها وتكاملها بربطها برباط من القيم التي تحكم مسلكها العام والخاص. ونشأت بذلك قيم اجتماعية أصبحت تشكل الكيان الاجتماعي للجماعات والكيان النفسي للأفراد.[24]

إن استقراء نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة قولية كانت أو فعلية، وما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم وتابعيهم بإحسان في هذا المجال، يكشف عن حقيقة ينبغي حسم الخلاف حولها، وهي أن الإسلام قد وضع للحكم مباديء أساسية وقيم عليا اعتمدها من نظامه العام المعروف عنه. وترك للناس بعد ذلك أن يضعوها موضع التطبيق بما يحقق مصالحهم، ويناسب ظروفهم، ويلاقي تعدد احتياجاتهم. وعلى رأس هذه المبادئ والقيم: مسؤولية الحكام والتزامهم بالقانون المستمد من الشرع، العدل، احترام حريات الناس وحقوقهم...الخ[25]وهو الأساس الذي تشكل عليه المجتمع الإسلامي الأول؛ والذي يلخص أركانه ومبادئه(محمد أبو زهرة) في العناصر التالية:

1- المصلحة الإنسانية: حيث ما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسنة إلا وكانت المصلحة فيه ثابتة، وخاصة المصالح العليا؛ ومنها: حفظ النفس والدين والعقل والنسل والمال.

2- الفضيلة الإنسانية: باعتبارها مقياس ضابط للحقوق والواجبات العملية، لأن الأخلاق الفاضلة والشرائع المحكمة صنوان لا يفترقان.

3- العدالة الاجتماعية: وهي شعار الإسلام بامتياز.[26]

إن نظرة ثاقبة في تعاليم هذا الدين الحنيف وتأمل مقاصده؛ تكشف بما لا يدع مجالا للريبة أنه جاء لتنمية النفس البشرية وتهذيبها. ويكفي للتدليل على ذلك

بأن المولى تبارك وتعالى أقسم إحدى عشرة (11) مرة بأن النفس الإنسانية قابلة للتغيير والتزكية والتسامي؛ وذلك في قوله تعالى: " والشمس وضحاها و القمر إذا تلاها...إلى قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " (الشمس:1-9) وفي سبيل ذلك سعى الإسلام إلى غرض سام وهو توفير الكمال النفسي و البدني للإنسان ؛ بأن دعاه لما يحفظ عليه قوة بدنه فأمره بالطهارة والنظافة، واعتدال المأكل والمشرب والملبس وطيب المسكن والهواء والعلاج عند المرض؛ كما أمره بالعناية بما يحفظ عليه قوة روحه وعاطفته وعقله وذلك تيسيرا لأسباب السعادة له في دنياه وآخرته؛ انطلاقا من أن كل مرض بدني أو نفسي أو انحراف سلوكي ينطوي على نقص خلقي مصداقا لقول الرسول الكريم (ص):"من ساء خلقه عذب نفسه، ومن كثر همه سقم بدنه". والنفس البشرية إذا تركت دون تهذيب وتربية وتأديب، انحرفت عن الاستقامة وسارت في طريق الغواية، واعتزت بشيطانها فتزاحمت عليها الخطوط المذمومة، واستبدلها الكبرياء والتعاظم، وغلبها الرياء والنفاق؛ فتدور في فلك الأهواء، وتقاذفتها أعاصير القلق والاضطراب، وأحالها الفزع و الرعب إلى الحقد والعدوان والإسفاف. وبذلك تجنح سفينتها في بحر متلاطمة أمواجه ولا شاطئ له،فلا تنتشل من ضياعها إلا برحمة الله وهداية من دين على حد تعبير (حسن الشرقاوي).[27]

والديانة الإسلامية السمحاء تستند إلى مبادئ تنشد الفضائل والقضاء على المفاسد. وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) تزخر بمئات الآلاف منها، لما فيها من عفاف وسمو، ونهي عن الرذائل لما فيها من فحش وسقوط وتدني أخلاقي؛ وذلك إيقاظا للضمائر، وإنارة السبل أمام الأحكام الأدبية على الأشياء والأعمال. وفي ذلك يقول الله تعالى:" ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن "(فصلت:34) وذلك عن طريق ملكه العقل التي زود

بها الإنسان دون سائر المخلوقات، لكي يميز بين الخبيث والطيب؛ ومجاهدة النفس وضبط فسوقها وفجورها، وجنوحها وضلالها بالمراقبة والمحاسبة. وتعزيز تقواها وسوائها تحقيقا للسعادة في الدنيا والثواب في الآخرة؛ حيث يقول المولى تعالى في ذلك:" قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها". كما تزخر المصادر الإسلامية بما يؤكد ويوضح ذلك في الكثير من الأقوال والأفعال والمواقف العظيمة. لهذا يقول (محمد سلامة محمد غبارى):" عندما رجعت الخدمة الاجتماعية إلى أصولها، وتعقبت امتداد جذورها وجدتها نابعة من الإسلام، ولذلك صححت مسيرتها، وعدلت أساليبها الفنية، وعادت إلى منابعها لتظهر من جديد كخدمة اجتماعية إسلامية تمارس وظائفها معتمدة في تحقيق أهدافها على تلك المجموعة السامية من المبادئ المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وما تواتر عن الصحابة وتابعيهم"[28]من معايير الأدب مع الله، وحسن الخلق مع الناس التي يضبطها المنهج الإسلامي ونظامه الأخلاقي، والفضائل التي دعا لها، والتي بين الله سبحانه ما يريد لعباده، وما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم في هذه الحياة، وصلتهم بالله و بأنفسهم و بغيرهم من الخلق، وقد بسطها القرآن الكريم والسنة لتكون منارا للهداية الـــربانية في ظلمات الحياة، كالإخلاص لله في النيات والأعمال، وتحري الصدق في الأقوال والأفعال، وتجنب الكذب و الرياء، والمحافظة على العهود والأمانات، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والاعتدال والتوسط في الأمو؛ ونحو ذلك من القيم والمعايير التي توجه سلوك المسلم، وتشكل السياج السلوكي الذي يؤطر عمل الأخصائيين الاجتماعيين ويمكنهم من معالجة مشكلات عملائهم وضبط سلوكهم وتغيير نفوسهم[29]بالشكل أو الكيفية التي تعجز بها أرقى الفلسفات الاجتماعية، والمناهج الإصلاحية؛ لأن هذا المنهج يقوم على أسس أصلها

ثابت وفرعها في السماء شعاره: تمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال . ويتجلى ذلك في كونه:

1- رباني المصدر: أي أن الوحي هو من وضع أصولها على نحو متسق مع أصل الوجود، وفطرة الخلق. فالقرآن الكريم عني برسم المعالم الرئيسية لآداب المسلم في مجتمعه، وخلق المسلم في علاقاته وتصرفاته، وأمر بإتباعها مصداقا لقوله تعالى: "إن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" (الأنعام:153). فدعى إلى البر بالوالدين، والرفق والحنو بالأقرباء، وباليتيم عناية، وبالجار إكراما، وبابن السبيل عونا، وبالرقاب تحريرا و فكا من قيد الرق والعبودية، وبالخدم رفقا و عطفا، وبالفقراء والمساكين إحسانا... ولم يقتصر تأديب القرآن للمسلم عموما على الأصول والقواعد؛ بل شمل الفروع والجزيئات الخاصة بآداب الحياة. فكان من ثمرة هذه الخصيصة أن عمقت أسس الالتزام والاحترام لهذه الأحكام في النفوس، وحفظتها من مصادرات الأمزجة، وزيغ الشهوات وضلالات الهوى لعمق الإجلال والاحترام اللذين أرساهما الدين الإسلامي الحنيف.

2- إنساني الجانب: لقد أولى المنهج الإسلامي بنظامه الأخلاقي البعد الإنساني أهمية خاصة في تعاليمه وتوجيهاته وأحكامه؛ تتجاوز شطر نصوص التنزيل ومواقع التقعيد والتأويل. ولا غرو فهذا الدين قد جاء ليحقق قاعدة التوحيد والعدل في منهج استخلاف الإنسان في الأرض، وإظهار تميزه وتفضيله على سائر المخلوقات بحيازته الصلاحية الخلقية والتبعية المعنوية وتفرده بهما. ويكفي لذلك ما روي عن الرسول(ص) في قوله:" أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربه، أو تقضي عنه دنيا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا شهرا، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه

يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تـــــزل الأقدام ."[30]

3- شمولي النطاق: إن الديانة الإسلامية شاملة لمختلف جوانب الحياة الإنسانية، ولا توجد في حياة المسلم تحت مظلة هذا المنهج شيء يتعلق بنظام حياته ووجوده إلا وله أخلاق تكيفه، وتوجيهات ترشده. سواء ما تعلق منها بالفرد باعتباره جسما له ضروراته وحاجاته ومكملاته، أو عقلا له مواهبه وآفاقه وبواعثه، أو نفسا لها مشاعرها ودوافعها ووجدانها وعواطفها وأشواقها، أو تلك الجوانب المتعلقة بحياة المسلم باعتباره عضوا فاعلا ولبنة راسخة في كيان مجتمعه؛ زوجا كان أو أبا أو إنسانا أو قريبا؛ أو تلك المتعلقة بنظامه السياسي حاكما كان أو محكوما، راع أو رعية؛ أو تلك المتعلقة بالموجودات المحيطة به من حيوانات ونباتات وجماد. ومنه فإن المنهج الإسلامي لم يتناول جانبا و يغفل آخ، بل يستوعب شموله الأزمنة والأمكنة والأجناس والأحوال. و بالتالي يأنس كل موجود بأثره و دوره وأهميته.

4- متوازن الإطار: وهو التوازن الذي نأى به الإسلام عن إفراط أصحاب الفلسفات المثالية، الذين وضعوا القيم الأخلاقية في برج عال تدنو لمثالياته الأبصار ولا تناله، وتفريط غلاة الواقعية الذين أرادوا للإنسان قيما ومقاييس من الأخلاق لا تليق به. فجاءت وسطية الإسلام في تشريعه الأخلاقي فسمت بتلك المعايير بالقدر المتوافق مع طبائع البشر وقدراتهم، منسجما فيه و متوافقا مع نظرته لهذا الكائن المكرم، باعتبار ما يجتمع في تركيبه و خصائصه من روحانية الملاك وغريزة الحيوان، وما تهيأ له في فطرته وأصل تكوينه لسلوك النجدين. وهكذا جاءت توجيهات الإسلام في مجال

الأخلاق متوازنة مع ووسطية هذا المنهج في نظرته لحقيقة الإنسان وحياته جامعا بين الحسنيين، ومعدا إنسانه للحسنى في الدارين. (31)

5 – واقعي المعالجة: لقد جاء الإسلام لمعالجة حياة الإنسان بواقعية؛ يراعي فيها طاقاته وقدراته، استجابة لقوله تعالى:" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ". فاعترف بالضعف البشري وعبء الدوافع النفسية الغريزية، والحاجات المادية الضرورية. لذلك راعى الإسلام حاجات النفس، وضرورات البدن، ومراتب الخلق في الالتزام: كالظالم لنفسه ممن ينقاد إلى قوته الشهوانية من غير التفات إلى مقتضيات العقل و الشرع، والمقتصد ممن خلط عملا صالحا بآخر سيء، والسابق في الخيرات الحريص في التزامه، والمتفاني في الوفاء بواجباته ومسؤولياته مصداقا لقوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير". فالمنهج الإسلامي لا يفترض في التقي أن يكون ملاكا لا يخطئ، ولا يرتكب ما يعيب، معصوما من كل ذنب، وفي ذلك يقول المصطفى(ص): "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".

6–واضح المعالم و ثابت الأسس: المنهج الإسلامي واضح المعالم في مسار الحياة، وأهميته في حفظ معالم إنسانية الإنسان، وحفظ كرامته وتحقيق أمنه. فأولى دلائل المسلم على الفضيلة غريزة العدل في نفسه، يقول الرسول (ص): " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك و كرهت أن يطلع عليه الناس "،ويقول:" استفت قلبك و إن أفتاك الناس" فيما جهلت حكمه. فعظمة قيم الإسلام تكمن في بساطتها ووضوحها. فالجاهل بما لديه عليه دليلان : دليل فطرته و دليل عمله. وأسس الأخلاق الإسلامية ثابتة راسخة؛ لأنها مؤسسة

على ما أودع في الإنسان من استعدادات وخصائص في فطرته التي لا تتبدل، ولا تتغير مصداقا لقوله تعالى: " فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ". وبالتالي لم تكن يوما ولن تكون نهبا للأمزجة البشـــــرية، وهوى نفوسها لتــزيد فيها أو تنقص.[32]

رابعا: فعالية المدخل الإسلامي في الخدمة الاجتماعية :

حتى يؤدي هذا المدخل دوره بكفاءة وفعالية في تلبية احتياجات المتكفل بهم(العملاء)، وحل مشاكلهم، وتعديل اتجاهاتهم وميولاتهم ورغباتهم، وضبط سلوكياتهم بكيفية تمكنهم من تجاوز المواقف الإشكالية بإيجابية؛ بإصلاح شأن العقيدة في نفوسهم، وتنمية الوازع الديني والخلقي لديهم، وبناء روح الجد والمسؤولية وإرادة التغيي، وضبط النفس، ومقاومة الشرور وطغيان المادة، وضمان حقوقهم في الأمن والطمأنينة، والكرامة والحرية، والعدالة والمساواة، والمعرفة ونشر الوعي الثقافي والتربوي، وحماية المجتمع من الانحرافات المختلفة. يجب التقيد في ذلك بجملة من الشروط، والالتزام بمختلف المواصفات والمقاييس والضوابط والأساليب الكفيلة بترسيخ القيم السامية لهذا المدخل في الواقع العملي، من بينها :

1- وجوب توفر القائمين على خدماته، وخاصة الأخصائيين الاجتماعيين على معرفة و دراية كافيتين لمفاهيم وقيم وآداب هذا الدين، وأنماط السلوك المستحبة والمستهجنة فيه، وقناعة وإيمان بصدقيتها ونجاعتها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن جهل شيئا عاداه أو شوهه. وبالتالي فعلى من يمارس هذا المنهج أن يتوفر على رصيد معرفي كاف لأداء هذا العمل، لقد جاء في الأثر أنه لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث، من بينها عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. وكذا قوله تعالى:" من أراد الله

به خيرا يفقهه في الدين "، وقوله تعالى :" قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" (يوسف :107) ، و أن يكون على قناعة مطلقة ، وإيمان راسخ بكمال هذا الدين مصداقا للذكر الحكيم: " اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا"(المائدة : 3)، والسبيل السوي الذي لا حياد عنه:" وإن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلك وصاكم به الله لعلكم تتقون" (الأنعام:153)، وأن هذا الدين يستند إلى كتاب شامل لمختلف أوجه الحياة: " ونزلنا عليك الكتاب تبيان لكل شيء، ورحمة وبشرى للمؤمنين"(النحل:89)، وقوله تعالى:" ما فرطنا في الكتاب من شيء"(الأنعام:83)، وقوله:" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"(الملك:14). كما يستند إلى سنة نبوية كفيلة بشرح وتبيان ما صعب والتبس فهمه؛ ناهيك عن سيرة الخلفاء الراشدين وتابعيهم بإحسان. لذلك يجب على الأخصائيين الاجتماعيين تعميق معارفهم ومعلوماتهم الدينية و الدنيوية، والاستفادة من مختلف الدراسات والأبحاث والخبرات ذات الصلة بالكيفية التي تمكنهم من تطوير مناهجهم وأساليبهم في الاتجاه الذي يتحقق بمقتضاه الهدف؛ خاصة وأن من نعم المولى على المسلمين أن أتمم عليهم شريعتهم، وختم الرسالات برسالة نبيهم التي راعت في التعامل مع الإنسان فطرته ومتطلبات بيئته والمؤيدة بحجج قطعية الدلالة والثبوت.

2- إدراك واع للقائمين على تطبيقات هذا المدخل لمسؤولياتهم ورسالاتهم: على من أوكلت إليهم مهام رعاية العملاء خاصة من ذوي الاحتياجات الخاصة القيام بواجباتهم؛ واستشعار المحاسبة على ذلك من البارئ سبحانه مصداقا لقوله تعالى:" إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبينا أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا". (الأحزاب

:72)، أو كما جاء في الاثر:" كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته "، وكذا دعاء الرسول على مـــن ولى أمر المسلمين فشق عليهم:" اللهم من ولى أمر أمتي شيئا وشق عليهم، فاشقق عليه". وقوله:" ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة"؛ ولا يتوقف احترام الأخصائي لحقوق العملاء عند تلك التي كفلتها القوانين والتشريعات؛ بل يتعداه إلى الحقوق التي كفلها لهم الشرع الحكيم، وما يترتب عليه من جزاء رباني. لقد روي عن النبي(ص) قوله:" أن من يدعو إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك منه شيئا"؛ وأن: " من أحب الناس إلى الله عز وجل انفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دنيا أو تطرد عنه جوعا. ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تـــــــزل الأقدام، أو أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا (مسجد المدينة) شهرا" كما جاء في رواية أخرى. لذلك على الأخصائي الممارس للخدمة الاجتماعية أن يكون مخلصا متفانيا في أدائه لعمله، وتحمل مشاقه ومتاعبه دون رغبة في ثناء أو مدح: " ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون"(الحج:77)، وقوله تعالى:"يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إن نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا".(الإنسان :7-10)، وقوله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النووي:"من بر أحد ضعيفا من خلقي ولم يجد ما يكافئه عليه، كافأته أنا عليه"، واستحضار رقابة الرقيب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم دون سواه في كل حين، ولا يجوز له أن يهمل عمله أو يسوفه أو يقصر في تأديته، وأن يحسن في ذلك". وأحسنوا إن الله يحب المحسنين".(البقرة :195)، وقوله تعالى:" ياأيها الذين آمنوا لا

تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر"(البقرة :264). والإحسان كما جاء في حديث جبريل إلى الرسول(ص)هو استحضار الرقابة الإلهية الدائمة والمستمرة. وبالتالي إتقان العمل وإجادته وتأديته بمهارة وتميز وإحكام، لأن ذلك مدعاة لنيل محبة ورضي الله سبحانه مصداقا لقوله تعالى:" وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان" (الرحمن:60)، وقوله: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (النحل:128)، وقول المصطفى (ص): "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "؛ خاصة و أن طبيعة العمل ذاته له فضل و منزلة خاصة عند رب العباد لكونه متعلق بانتشال الفئات الهشة والضعيفة، و المبتلاة في بدنها ونفسيتها وعقليتها وسلوكها خاصة. وهو ما تؤكد عليه عديد الآيات الكريمة كقوله تعالى: "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا "(فصلت:33) وقوله:" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون"(آل عمران:104)؛ وكذا الأحاديث النبوية الشريفة كقوله (ص): " معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر"، وقوله:"من سر مؤمنا فقد سرني، ومن سرني فقد سر الله "، وقوله:" الأمر بالمعروف أفضل أعمال خلق الله "، وكذا:" من قضى للمؤمن حاجة كمن عبد الله دهرا"، وقوله: " أيما مسلم كسى مسلما على عري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم". وقوله:" إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه".

3- وجوب تحلي القائمين بالخدمات وخاصة الأخصائيين الاجتماعيين بمكارم الأخلاق وضروب المثل الطيب ، والقدرة الحسنة ، والسلوك القويم من ذلك :

ا- **الاتسام بالصبر والأناة** : تحتل هذه الفضيلة مرتبة سامية في مراتب الأعمال. وخاصة إزاء المواقف المتميزة بالمشقة والكلل، والمثيرة للملل والضجر. والأخصائي الاجتماعي كثيرا ما يواجه في أدائه لمهنته حالات ومواقف إشكالية ترهق البدن، وتثير الغضب، وتوتر الأعصاب. وقد تؤدي إلى ردود أفعال سلبية ما لم يتسلح بالحلم وضبط النفس. فهو يتعامل مع أنماط صعبة المراس من العملاء يوجد بينهم كما يذهب (عبد الفتاح عثمان): العدواني، المجرم، الشاعر بالاضطهاد، الشاعر بالذنب، المتقلب المزاج، المكتئب، المنطوي، الخائف القلق على متقبله أو عائلته، الممثل، المتردد، الخاضع المستكين، السلبي، الماكر، الناضج المدعي للمعرفة وإظهار التفوق، الشاعر بالمرارة والظلم، المتواكل...الخ.[33] لذلك فعلى من يتعامل معهم أن يكون صبورا، كاظما للغيظ مقتديا في ذلك بالهدى الـــرباني، وما لاقاه الأنبياء والصالحين من صنوف الأذى في تبليغ رسالاتهم. وفي هذا السياق يقول المولى تبارك وتعالى:"واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"(النحل:128،127)، وقوله: "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يـــريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا "(الكهف:28)، وقوله: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون"(آل عمران:200)، وقوله: "والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون "(البقرة:177)، وقوله:"

إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" (الزمر:10)، وكذا قوله: " وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، وأصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور" (لقمان:17). كما يؤكد ذلك ما جاء في الأثر عن الرسول(ص): " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " وكذا وصيته (ص) للأعرابي الذي جاء ينشد الأعمال المجزاة خيرا ، والتي كرر له فيها فضيلة عدم الغضب عدة مرات . والأخصائي الاجتماعي خاصة الذي يمارس الخدمة الاجتماعية القهرية أو القسرية (التي تمارس في السجون ومراكز الأحداث ، ومستشفيات الأمراض العقلية، والرقابة الاجتماعية والرعاية اللاحقة ...الخ) كثيرا ما يواجه مواقف يستحيل التجاوب معها دون التحلي بهذه الخاصية .

ب- الرفق والرحمة بالعملاء: وهي خصيصة تقضي بابتعاد الأخصائيين في تعاملهم مع عملائهم عن كل شكل من أشكال الغلظة في القول أو الفعل، وتبني التيسير على التعسير. وبالتالي يجب عليهم العفو والتغاضي عن بعض إساءاتهم وتصرفاتهم الغير مرغوبة، وعدم مناصبتهم العداء، وتكليفهم مالا يطيقون، والتقــرب إليهم وملاطفتهم، وإبداء حب الخير لهم، وجلب ودهم عن طريق معاملتهم باللين والتسامح. وبذل العطاء والنصح لهم ما أمكن. وذلك إقتداء بالهدى الرباني في هذا المجال، والذي تؤكده الكثير من آيات الذكر الحكيم وأحاديث الــرسول(ص)، منها قوله تعالى:" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" (التوبة:128)، وقوله:"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"(النحل:125)، وقوله: " فبما نعمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر" (آل عمران:159)، وقوله "الذين ينفقون في السراء والضراء،

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين "(آل عمران:134) ؛ وقوله (ص):" علموا ولا تعنفوا "، وقوله: " من لا يرحم لا يرحم " وكذا قوله: " إن أبعد الناس من الله القلب القاسي ".

ج- التواضع مع العملاء: وذلك بتجنب الأخصائيين الاجتماعيين النظرة الدونية لعملائهم، وعدم التعالي عنهم واحتقارهم والتكبر عليهم. وبالتالي النزول عندهم و تلمس احتياجاتهم ومشكلاتهم، ووجهات نظرهم، والكبر أو التكبر صفة إبليس اللعين الذي أبى واستكبر وحاج ربه في ذلك. وهي صفة ذميمة مآلها غضب الله قبل غضب العباد، لقد توعد الله المتكبرين من عباده بجهنم، وبئس المثوى كما جاء في سورتي:(الــزمر:72 ،النحل:29)، وأكده الرسول (ص) في حديثه: " لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة كبر"، وقوله (ص): "من استذل مؤمنا أو مؤمنة أو حقره لفقره، أو قلة ذات يده، يشهره الله تعالى يوم القيامة ثم يفضحه"، وكذا قوله: " إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد ". والأخصائي الاجتماعي الذي يتواضع لعملائه، و ينزل عند مستواهم دون إفراط أو تفريط حتما سيكسب ودهم و يــرتقي بهم إلى ما يرغب فيه من صنوف السلوكيات السوية .

د- إشاعة العدل بين العملاء: وذلك من خلال تقديم الخدمات وتلبية الاحتياجات لهم على قدم المساواة. وبالتالي على الأخصائي الاجتماعي أن يعاملهم بكيفية يمنح فيها كل عميل الفرصة لتحقيق آماله و طموحاته؛ بما يتناسب وإمكانياته وقدراته، وذلك امتثالا لقوله تعالى:" إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر"(النحل :90)، وقوله:"لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، أعدلوا هو اقرب للتقوى"(المائدة:8). والأخصائي الاجتماعي العادل كثيرا ما يقابل باحترام

وتقدير عملائه، عكس الذي يميز بينهم في المعاملة على أساس اقتصادي أو اجتماعي. يقول الرسول (ص) في ذلك: " كلكم من آدم وآدم من تراب ".

هـ- عدم التعرض للعملاء بالإساءة اللفظية: إن استخدام العبارات المشينة والجارحة في التعاطي مع العملاء، والتهكم والتشهير بهم، وتصيد أخطائهم و التعريض بهم؛ يؤدي بالضرورة إلى ردود أفعال غير محسوبة العواقب. وبالتالي يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يتمتع بلباقة في الكلام، وهدوء في الحوار، وقدرة على الإقناع واحترام الآراء، وإجادة إدخال الفرحة والطرافة والسرور عليهم باستخدام الكلام السلس والأسلوب البليغ، والألفاظ المحببة للنفوس؛ وتجنب التقريع والتأنيب، والإطالة المملة في الإرشاد التي من شأنها إحداث رد الفعل العكسي(العناد، الإصرار على الخطأ، استخدام العنف...)؛ وذلك امتثالا لقوله تعالى:" وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن، إن الشيطان ينزغ بينهم " (الإسراء:53)، وقوله:" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة "(النحل: 125) وفي قول" وقولوا للناس حسنا "(البقرة:83)، وقوله (ص):" إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم بسط الوجه وحسن الخلق "، وقول : " خاطبوا الناس على قدر عقولهم "، وقوله:" إن الله يبغض الفاحش البذيء"، وكذا قوله: " ليس المؤمـــن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء ".

و- حفظ أسرار العملاء: وهي خصلة جليلة وخلة كريمة تقضي بعدم كشف و فضح أخطائهم وانحرافاتهم، والاستهزاء بهم على الملأ. وذلك امتثالا للهدى الرباني ممثلا في الحديث النبوي الشريف:" من ستر عورة مسلم، ستر الله عورته يوم القيامة"، وقول الرسول (ص):" إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء"، وكذا طريقة الرسول (ص) في تصحيح أخطاء المسلمين؛ حيث لم يكن يتعرض للمخطئين منهم مباشرة وعلى الملأ؛ فكان

كثيرا ما يشير إليهم في خطبه باعتماد أسلوب التعميم حتى لا يحرجهم ويجرح شعورهم. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:" كان النبي إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول، ولكن يقول ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ... ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ...ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله."

4- ضرورة ربط العملاء بالروابط الإيمانية والعقائدية: وأول حلقة في هذا المجال هي تنمية العقيدة الإيمانية لهم بربطهم بالرابطة الوثقى التي لا انفصام لها(المولى سبحانه). وذلك بتقوية صلتهم بربهم وحسن التعلق به، وصدق اللجوء إليه، وإخلاص النية والعمل له، والإيمان بقضائه وقدره، والتسليم بهما، وقوة التوكل عليه؛ خاصة وأن الكثير من المواقف الإشكالية التي تعترض الإنسان في الحياة قد تتجاوز قدرته على منعها أو الحد منها؛ مصداقا لقوله(عز وعلى):" ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم "(الأحزاب :36)، وقوله: " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله، يصيب من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم "(يونس:107)؛ وهو ما ينمي لدى العميل فكرة التسليم بالأمور المستعصية لمن له الخلق والأمر والمصير:" الفعال لما يريد " (هود:107)، والجدير بالتوبة إليه والعبادة والطاعة: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات: 56). فالتوحيد يعين على تكوين الشخصية السوية (الآمنة المطمئنة). فلا يستبد بها الخوف الذي يلازم حياة الكفار والمشـــــركين، طالما أن لها رب تعبده، راضية بقضائه تلجأ إليه في خلوتها وجلوتها. وبالتالي لا مجال للمخاوف على ما تجري به المقادير سواء في الرزق أو الأجل أو السعادة أو الشقاء: " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"(الأنعام

:82.81)، فالله هو أصل كل قيمة ومنبع كل فضيلة، و أساس كل خير. وهو أحق بالتقوى والانصياع والتزام تعليماته التي أقرها في كتبه: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ". وحمل أمر تبليغها لرسله وأنبيائه، وهي حلقة أخرى في سلسلة عمل الأخصائي الذي يمارس الخدمة الاجتماعية الإسلامية، والمتمثلة في ربط العميل بسنة الرسول (ص)، وسنن الأنبياء من قبله. والنصوص (الآيات والأحاديث) التي تؤكد على أن العمل الصالح هو ذلك الذي يتوافق مع ما جاءت به السنة النبوية، نذكر منها خاصة قوله تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، ويغفر لكم ذنوبكم "(آل عمران:31)، وقوله:" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " وقوله:" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم "(النساء:69)، وقوله:" وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله "(النساء: 64)، وقوله: " ومن يطع الله و رسوله ويخشى الله و يتقه فأولئك هم الفائزون "(النور:52)، وقوله:" قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول، فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم، وإن تطيعوا تهتدوا، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ".(النور: 54) وكذا قوله تعالى:"وأقيموا الصلاة وآتوا الـــزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ".(النور:56)، وقوله: "ومن يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما "(الفتح:17)، وقوله:" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ".(محمد: 33) ولا يتوقف الأمر على ربط العميل بالله و رسوله؛ بل يتعداه إلى ما صح من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان. لقد جاء في الأثر قوله (ص):" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "، وكذا قوله (ص):" إنه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين؛ تمسكوا بها وعضوا عليها

بالنواجذ". بالإضافة إلى مساعدة العميل على أداء العبادات في آوانها لما لها من فوائد وآثار ايجابية على علاقة الفرد بذاته وبـــربه وبمحيطه. وفي ذلك وردت آيات و أحاديث كثيرة لا يتسع المجال لذكرها من بينها قوله تعالى:" إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون"(العنكبوت : 45). كما قيد الشرع الحكيم للعلاقات الاجتماعية وما يـــرتبط بها من سلوك اجتماعي باعتباره دين المعاملة قيما وآدابا لا يحيد عنها إلا هالك؛ تعجز عن مضاهاة أحكامها أرقى الأيديولوجيات والفلسفات وأنسب التشريعات والنظم الاجتماعية في الشرق والغرب. ويتحقق بمقتضاها التوافق النفسي والاندماج الاجتماعي للأفراد، ويقل بالتزام ضوابطها انحرافاتهم السلوكية التي تعج بها المجتمعات.

5- **مراعاة الخطوات المنهجية في توظيف المدخل:** تتبع الخدمة الاجتماعية في مواجهتها لمشكلات الأفراد والجماعات خطوات منهجية بدء بمرحلة الدراسة، التي يتم فيها جمع البيانات والحقائق الواقعية المـــــرتبطة بالمشكلة سواء المرتبطة بشخصية العميل ومكوناتها(البيولوجية ،النفسية ،العقلية ،الاجتماعية)، أوالمرتبطة بظروف البيئة المحيطة بعناصرها المختلفة (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية)، التي تسمح بعد تنظيمها وتحليلها وتفسيرها بالتشخيص الواعي للعوامل التي تتحكم فيها، سواء البيئية أو تلك المتعلقة بالاتجاهات والمواقف من المشكلات، وسبل التعاطي معها. وهي أكثر العوامل التي تواجه الأفراد والجماعات في الحياة لذلك يلجأ الأخصائي الاجتماعي إلى تنمية ذات العميل بتبصيره بمشكلته، ومساعدته في التعاطي معها بايجابية، عن طريق إتاحة الفرصة له للتعبير والإفصاح عن أدق أسراره وقبول أفكاره وسلوكياته على علتها، وعدم الدخول معه في جدال، وتمكينه من إفراغ مكنوناته وما يحمله من قيم سلبية؛ وبالتالي يتم عن طريق

المناقشة الهادئة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة من شحنه بالقيم والمعتقدات الدينية الايجابية، وتحـــريره من مشاعر الذنب والخطيئة، والمسؤولية عن وضعه؛ ومساعدته في تجاوز مشكلته. ولن يتأتى ذلك إلا بمتابعة حالة العميل، والحرص على مدى التزامه بالتوجيهات والإرشادات المتضمنة في خطة العلاج، دون الإخلال بمبدأ الســرية والمحافظة على كرامة العميل؛ وتقويم الأخطاء، ومواجهة العراقيل التي قد تعتــرض الحالة.

خاتمـــــة:

وختاما لما سبق يجب التأكيد على مجموعة من التساؤلات التي نتمنى أن تنهي الجدل الدائر بين المنشغلين بقضايا الفكر الاجتماعي الإسلامي وتطبيقاته في الحقول الاجتماعية المختلفة الخدمة الاجتماعية، و تغني النقاشات حول هذا الموضوع(الخدمة الاجتماعية)؛ أولاها: لماذا تتهافت العقول في مجتمعاتنا العربية والإسلامية على النهل من المفاهيم والخبرات والبرامج التي صممت لمجتمعات غيرمجتمعاتنا دون وعي؟ ولماذا فشلنا في استثمار وتوظيف رصيدنا المعرفي وما يـــــرتبط به من ثراء مفهمي . وإرثنا الثقافي وما يـــــرتبط به من تنوع ممارساتي؛ اللذان يمكن أن يشكلا أساسا رصينا لعمل اجتماعي متكامل يضاهي أرقى الفلسفات والايديولوجيات؟ وهل يمكــن إعادة بعث الحـــــركية الفكرية الإسلامية في الاتجاه الذي يعيد لمبادئنا وقيمنا مكانتها في مختلف مجالات النشاط في النسق الحياتي لمجتمعاتنا وشعوبنا ؟

هذه التساؤلات وغيرها لا تجد إجابتها إلا في وجود نخبة أصيلة ، قادرة على أن تعيد للأمة ديناميتها، عن طريق مراجعة جادة وهادفة لمختلف الأفكار والطروحات المشوهة قيد الاستخدام، وبلورة تصورات ومقترحات عملية

تمكن من تأصيل معارف المهن المختلفة وعلى رأسها الخدمة الاجتماعية. وذلك بما يتناسب مع المتطلبات الاجتماعية لمجتمعاتنا، وتأمين حقها في منظومات اجتماعية تلبي احتياجات أفرادها، وتتلائم مع مبادئهم وقيمهم التي يشكل الدين الإسلامي الحنيف مصدرها الأساسي.

الهوامـــــــش:

(*)الخدمة الاجتماعية: هي مهنة ذات صبغة وقائية وعلاجية وإنشائية ؛ لها طرقها وأساليبها الخاصة. تهدف إلى مقابلة العجز في تلبية احتياجات الأفراد والجماعات ، ومواجهة مشكلاتهم وانحرافاتهم ، والارتقاء بحياتهم وسلوكياتهم إلى المستوى المقبول اجتماعيا . وتستند إلى قاعدة هجينة من العلوم الاجتماعية والإنسانية ، والى مبادئ وقيم أخلاقية ودينية تنبع من ثقافة وفلسفة المجتمعات التي تمارسها. ويقوم عليها متخصصون تتوفر فيهم الرغبة والمهارة والكفاءة ، وتمارس في مختلف المجالات الحياتية (أسرة ، مدرسة ، معمل...). وتؤدى غالبا في تنظيمات اجتماعية رسمية أو طوعية (مؤسسات متخصصة جمعيات ، هيئات،أجهزة....)، بعضها يمارسها كوظيفة أساسية وبعضها الأخر كوظيفة ثانوية.

(*) المدخل الإسلامي: هو مقاربة منهجية نظرية وعملية يستند إليها في رؤية الواقع والتعامل معه؛ تقوم على توظيف الدين الإسلامي بما يحمله من مضامين فكرية ومبادئ وأحكام شرعية ونماذج سلوكية مستمدة أساسا من مراجعه الأساسية المتمثلة خاصة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة (قولية وفعلية)، ومآثر الصحابة رضوان الله عليهم، واجتهادات العلماء ...الخ.

[1]– محمد التومي: المجتمع الإنساني في القران الكريم، الدار التونسية للنش، تونس 1986، ص: 292

[2]– عبد الرحمن عيسوي: النمو الروحي و الخلقي و التنشئة لاجتماعية في مرحلتي الطفولة و المراهقة، مجلة عالم المعرفة ، الكويت، المجلد:7 ،ع :3، ف:3 ، 1976، ص:148

[3]– عبد الخالق محمد عفيفي : الرعاية الاجتماعية ، المفاهيم، النشأة، المجالات، مكتبة عين شمس، القاهرة، 2000، ص:216

– حامد عبد السلام زهران: التوجيه و الإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، 1977، ص: 384

[4]– محمدصفوح الأخرس، نجوى قصاب حسين: الخدمة الاجتماعية ، المطبعةالجديدة، دمشق، سوريا، 1986، ص:16

[5] – جلال عبد الخالق: العمل مع الحالات الفردية، أسس وعمليات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1985 ، ص:18

[6] – إبراهيم عبد الرحمن رجب: الإسلام و الخدمة الاجتماعية، منشورات كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر، 2000 ، ص:19

[7]– حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، مرجع سابق، ص:384

[8]– مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الاسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 4،5

[9]– إبراهيم عبد الرحمن رجب: اتجاهات حديثة في الخدمة الاجتماعية الأمريكية، منشورات جامعة حلوان، مص، 2000 ، ص:6

[10]– المرجع السابق، ص:7

[11] – المرجع السابق: ص:12،13

[12]– المرجع السابق، ص:14

[13]– المرجع السابق، ص: 15،16

[14]– المرجع السابق، ص:17

[15]– المرجع السابق، ص:17–19

[16]– المرجع السابق ، ص:19

[17]– عمر التومي الشيباني: دور المربى ورجل الإعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف، منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 1414 ه، ص: 28 وما تلاها.

[18]– إبراهيم عبد الرحمن رجب: الإسلام والخدمة الاجتماعية، منشورات كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر، ط 1، 2000، ص:1

[19]– عبد الفتاح عثمان وآخرون: مقدمة في الخدمة الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص:285–293

[20]– الصادق بلحاج: دور التربية الإسلامية، منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1987، ص:12

[21]– إبراهيم عبد الرحمن رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب، الرياض، 1996، ص:194

[22]– محمد الحبيب ابن الخوجة: مواقف الإسلام، دار الكتب الشرقية، تونس، ص:50

[23] – محمد التومي: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص:27

[24]– أحمد كمال أبو المجد: وصل التراث بالعصر و النظام السياسي للدولة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ع :71، 1987، ص:28

[25]– محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في الإسلام ، الدار السعودية للنشر و التوزيع، 1982، ص:64

[26]– حسن صادق حسن عبد الله: السلوك الإداري ومرتكزات التنمية في الإسلام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص:32

[27]– حسن محمد الشرقاوي: نحو علم نفس إسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976، ص:250

[28]– محمد سلامة محمد غبارى: مدخل إلى الخدمة الاجتماعية الإسلامية (خدمة الفرد)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1985، ص: 163 ،164

[29]– المرجع السابق ، ص:319

[30]– عبد الوهاب عبد العزيز الشيشاني: القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية الإسلامية، منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1408 هـ(1980م)، ص:68–70

[31]– المرجع السابق، ص:71–72

[32]– المرجع السابق، ص:73–74

[33]– السيد رمضان: ممارسة خدمة الفرد. أسس عملية المساعدة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص:88، 89

– عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد بين النظريات الحديثة و مهارات العصر ، بل برمت للطباعة و التصوير ، مصر ، 2002 ، ص :34–40